Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فيها كُلٌّ تمثيل إلى تمثيل متوالٍ، قد كشف عَنْ واقعيته «القروسطية»: فهو لن يفلح في تبيان كيف أن علامة يمكن أن تكون موضع إحالة إلى موضوع. أضِفْ إلى أَنَّ علاقة دلالة ملموسةً قد تتيه في شبكة لامتناهية من العلامات التي تحيل إلى علامات، في عالم محدودٍ إلاَّ أنه يفيض إلى ما لا حَدَّ له، بالمظاهر السيميائية الطيفية.

رغم ذلك، قد يكفي أن يفكر المرء تفكيراً يمتّ إلى الواقعية التداولية، دونَ الواقعية الأنطولوجية، لكي يتسنى لَهُ أن يدرك أنّ العكس صحيح، وأنَّ عقيدة المؤوّلات والتسييمية اللامحدودة قد أفضَيا بپيرس إلى ذروة واقعيته غير المبسَّطة. ذلك أن پيرس لا يهتم مطلقاً للموضوعات باعتبارها جماع خصائص، بل باعتبارها فرصاً ومحصِّلات اختبار فعَّال. فأن يكتشف المرء موضوعاً، فهذا يعني، كما أسلفنا، أن يكتشف «قياس اشتغاله» [Modus operandi] لكي يسعه صوغه (أو لكي يصوغَ استخدامه العملي). إنَّ بمقدور علامة أَنْ تنتج تعبيراً حيوياً أو انفعالياً: كأن يكون المرء يستمع إلى قطعة موسيقية، فيكون التعبير الانفعاليُّ تفاعلنا إزاء سحر الموسيقى؛ ولكن هذا الانفعال الموسيقي أحرى به أن يثير جهداً ذهنياً أو عضلياً، فتكون الاستجابات هذه حينها **تعبيرات طاقوية**. على أَنّ استجابةً Interpretant energetique طاقوية لا تتطلَّب تأويلاً: إنما هي تنتجُ عادةً (عبر التواترات المتتالية). والحال أَنَّ طريقة تعاطينا مع العالم تصيرُ عرضة للتبدّل، لمجرّد أن نتلقى تواليةً من العلامات، فيلبث التحوُّل برهةً أو يظل فينا أبداً. وهذا الوضعُ الجديد هو ما ندعوه بالتعبير النهائي. آنئذ يمكن للتسييمية اللامحدودة أن تتوقف، حالما ينتجُ تبادلُ العلامات تحويلاتٍ في الاختبار، وحالما تُعينُ هويَّةُ الحلقة المفقودة بين التسييمية هذه والواقع المادي. وعليه، فإن نظرية التعبيرات ليست بالأمر المثالي.

ولكن، لا نكتفيَنَّ بهذا. فلمَّا كان للطبيعة نفسها عادات، بل قوانين وانتظامات، ولما كانت «المبادىء العامة معمولاً بها، بصورة واقعية في الطبيعة» (٥ـ ١٠١)، فقد صار لزاماً أَنّ يُرى إلى المدلولِ الأقصى (أو التعبير النهائي) الذي يكونُ لعلامة، على أنها القاعدة العامة التي تتيح إنتاج هذه العادة الكونية أو التدقيق بشأنها. ولنذكر ههنا تعريف